وذبيان ودفعا الديات من مالهما الخاص حقناً للدماء . وكان مدحه لهما ولغيرهما يقتصر على ذكر الصفات البدوية من شجاعة ورأى كريم ، وأصل عريق وتقوى خالصة . وكان زهير مخلصاً فى هذا المديح يسعى وراء المعروف والفضل فيشيد بهما ، ولكنه كان يفتتح المديح بالغزل التقليدى ، ثم ينتقل إلى صفات الممدوح فيقول فى هرم :

أَغَرُّ أَبْيَضُ فَيَّاضٌ يفكّك عَنْ أَيْدِي العُناة وَعَنْ أَعناقِهَا الرِّبَقَا[1]
مَنْ يَلْقَ يوماً على عِلاَّتِهِ هَرِماً يَلْقَ السَّماحة مِنْهُ والنَّدى خُلُقا
لو نال حيّ من الدنيا بمكرمة أُفْقَ السَّماء لنالتْ كفُّهُ الأُفقا

فهو بيّن الكرم ، يشرق وجهه بالندى ، كثير العطاء ، خلقت معه السماحة والجود ، يحتل بمكارمه مكاناً سامياً حتى لتلامس كفه الأفق فى رفعته وسمو منزلته وعظم مقامه بين الناس . وهذه صفات العرب ومثلها العليا . ويقول زهير فى هرم كذلك إنه حامى الذمار ، حدبٌ على المحتاج ، يحنو عليه حنوّ المرضعات على الفطيم ، ويسعى إلى جميل الأحدوثة وطيب الذكر . وهو مع الحارث بن عوف يتداركان الأحلاف فى الضيق ، فيحوم حولهما أصحاب الحاجات يسألونهما ما يريدون ويعطون ما يطلبون ، ومجالسهما تشفى بأحلامها وآرائها كل جاهل متعنت :

فما كان من خير أَتَوْهُ فإنما توارثه آباء آبائهم قبلُ

وإلى هذا الخير والكرم يجتمع فى الممدوحين عند زهير فضل الشجاعة والبطولة ، يكررهما كلما وقف عند مديح فيقول فى حصن بن حذيفة :

وأَبيضُ فيّاض يداه غمامة على معتفيه ما تغبّ نوافلُهْ[2]

---

(١) أغر : فى وجهه غرة ، أى أنه بين الكرم — فياض : كثير العطاء — العناة : الأسرى — الربق : ج ربقة وهو حبل طويل فيه مواضع تجعل فيها رءوس الحملان ، وهى الأغلال هنا .
(٢) المعتفون : الذين يطلبون ما عنده — نوافله : عطاؤه كل يوم ، أى أنها دائمة .